

خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

بتاريخ ٢٥/٠٨/٢٠٢٣ م

في المسجد المبارك بإسلام آباد في بريطانيا

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * مَالِكُ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾، آمين.

إن الله ﷻ يقبل من عبده الاستغفار والتوبة بشرط أن تكون التوبة صادقة وألا يكون قد نطق بكلمات التوبة باللسان فقط، فقد ذكر الله في العديد من آيات القرآن الكريم أنه يُكرم التوابين الصادقين بمال وأولاد وأهنا وسيلة للاعتصام من عذاب الله، وأن المستغفر يجذب رحمة الله ﷻ. فقد قال الله في آية مبشراً المستغفرين أنهم لو استغفروا ﴿لَوْجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ بشرط أن يكون الاستغفار والتوبة حقيقيين، فقد ورد في حديث "عن أنس قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: التائب من الذنب كمن لا ذنب له، وإذا أحب الله عبدا لم يضره ذنب. (أي لا تقدر دواعي الذنب على أن تميله إلى السيئة، ويحفظه الله من نتائج السيئة) ثم تلا: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ قيل: يا رسول الله وما علامته؟ أي كيف نعرف أن توبته صحيحة؟ قال: الندامة. (كنز العمال)

فإذا كان التائب الصادق يتخلص من الذنوب بإظهار الندامة الحقيقية ففي الوقت نفسه يفوز بحب الله أيضاً، ويجد نصيباً من رحم الله مرة بعد أخرى.

لقد ذكر سيدنا المسيح الموعود عليه السلام شروط التوبة الصادقة في موضع، فقال:

الشرط الأول للتوبة هو أن يقلع المرء عن الأفكار الفاسدة والتصورات السيئة. (أي أن يتخلى نهائياً عن الأفكار التي يمكن أن تعد سبباً للملذات السيئة. وهذا جهاد عظيم يجب على المرء أن يقوم به، عندها سيخطو إلى التوبة.)

والشرط الثاني هو أن يظهر الندم الحقيقي. عليه أن يفكر أن هذه اللذات والحظوظ المادية مؤقتة، وهي تنقص كل يوم مع انقضاء العمر، فلماذا إذن يتمسك بها؟ فالسعيد من يدرك هذه الحقيقة ويتوب، ويبيد الندامة الحقيقية، وهي التي ذكرها النبي ﷺ.

والشرط الثالث هو أن يعقد المرء العزم على ألا يقرب تلك السيئات أبدا. (وليس ذلك فحسب، أي لا يكفيه التصميم والعزم على عدم الاقتراب من الذنوب)، بل يجب أن تحل محلها الأخلاق الحسنة والأفعال الحميدة. فهذه هي التوبة الصادقة والندامة الحقيقية، وإذا تحققت للإنسان هذه الحالة فإن الله ﷻ يحبه.

لقد لفت سيدنا المسيح الموعود ﷺ انتباهنا إلى الاستغفار والتوبة مرارا وتكرارا. ومعلوم أن الإنسان يرتكب الأخطاء، وإذا كررها مرارا فإنها تورطه في ذنب تلو ذنب، لذا يجب أن نسعى جاهدين كل حين وأن لتطهير قلوبنا مستغفرين الله ومنيبين إليه، ويجب أن نهتم دوماً بالأوضاع التي تمنعنا من حقوق الله وحقوق العباد أبداً. فقد نصح سيدنا المسيح الموعود ﷺ الجماعة بالاستغفار مرة بعد أخرى. فكان ذلك يشغل باله كثيرا حتى لم يفوت أي فرصة للفت أنظار الجماعة إلى هذا، فقد نصحهم بالتكرار في مجالسه وعبر كتاباته. فمن الواجب علينا أن نضع في الحسبان دوماً أقوال سيدنا المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام التي بينها في ضوء ما أمر الله ورسوله ونصحا، ونسعى للعمل بها، لكي نتمكن من أداء حق البيعة. وإن لم نخلق في نفوسنا تغييرا طيبا، ولم نلتفت إلى التوبة والاستغفار الحقيقيين، فلن ينفعا مطلقا تعهدنا بأننا سنصلح أنفسنا. فقد تكلم سيدنا المسيح الموعود ﷺ كثيرا عن التوبة. وأقدم لكم بعض المقتبسات من كلامه، فقد تناول بيان فائدة الاستغفار قائلا:

اعلموا أن هذه الأمة قد أعطيت شيئين، أحدهما لاكتساب القوة؛ وثانيهما من أجل تسخير هذه القوة المكتسبة في العمل. والاستغفار هو لاكتساب القوة، ويسمى أيضا الاستمداد والاستعانة. قال الصوفية: كما أن الرياضة من حمل أثقال وغير ذلك تزيد الجسد قوة وطاقا، كذلك فإن الاستغفار هو رياضة حمل أثقال روحانية، التي تكسب الروح قوة، والقلب استقامة. فمن أراد القوة فعليه الاستغفار. والغفر هو التغطية والكبت، فبالاستغفار يحاول الإنسان كبت جماح أهوائه وتغطية أفكاره التي تحول دون وصوله إلى الله تعالى. إنما يعني الاستغفار أن يتغلب الإنسان على ما فيه من مواد سامة تريد مهاجمته وإبادته، وأن يعمل بأحكام الله تعالى، متجنباً العقبات التي تحول دون ذلك.

واعلموا أيضا أن الله تعالى قد خلق في الإنسان نوعين من المواد، الأول: المادة السامة التي وكل إليها الشيطان، والثاني المادة التي فيها الترياق والشفاء. عندما يصاب الإنسان بالكبرياء والاعتداد بالنفس، ولا يسعى للاستعانة من النبع الذي فيه شفاء وترياق، تتغلب عليه القوة السامة الموجودة فيه، ولكنه حين يعد نفسه ذليلا وحقيرا ويشعر في داخله بحاجة إلى عون الله تعالى، يخلق الله له نبعاً، فتذوب به روحه وتنساب، وهذا هو معنى الاستغفار، أي أن ينال المستغفر هذه القوة، فيتغلب على ما فيه من مادة سامة. (وهذا هو الاستغفار الحقيقي).

خلاصة الكلام: داوموا على العبادة كالأتي: أولاً: أطيعوا الرسول، وثانيا: استعينوا بالله دوماً. أجل! اطلبوا من ربكم القوة، وإذا نلتم منه القوة فـ ﴿تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ وارجعوا إلى الله. فالاستعانة بالله أيضا تقتضي أن ندعوه.

ثم قال حضرته:

معلوم أن الإنسان ضعيف جدا بطبيعته وقد كلف بمئات الأوامر من الله تعالى. فمن طبيعته أنه يمكن أن يعجز عن العمل ببعض الأوامر بسبب ضعفه، (فمن الطبيعي أن لا يقدر على العمل بكل هذه الأحكام الكثيرة) وتغلبه أحيانا بعض رغبات النفس الأمارة. فهو يستحق بسبب ضعفه الطبيعي أن تنقذه رحمة الله من الهلاك نتيجة التوبة والاستغفار عند صدور زلة منه. (وينبغي أن تكون توبته صادقة، فالضعف الذي فطر عليه الإنسان يجعله يستحق أن يقبل الله توبته الحقيقية، وينجيه). فمن المؤكد أنه لو لم يكن الله تعالى قابل التوبة لما أثقل الإنسان بعبء مئات الأوامر قط. من هنا يتبين دون أدنى شك أن الله تواب وغفور. ومعنى التوبة أن يترك الإنسان سيئة مقررًا بأنه لن يعود إليها أبدا وإن أُلقي في النار. (فالشرط أن تكون التوبة من هذا القبيل) فعندما يتوب الإنسان إلى الله تعالى بهذا الصدق والعزم الصميم يغفر الله الكريم والرحيم عقوبة ذلك الذنب. ومن صفات الله العليا أنه بقبول التوبة ينقذ من الهلاك. ولو لم يتوقع الإنسان قبول التوبة لما ارتدع عن ارتكاب الذنوب قط. (أي إذا لم يكن له أملٌ مطلقا في قبول التوبة فسوف يستمر في ارتكاب الذنوب. كثيرون يسألون إذا كنا سنواجه مصيرا معيناً حتما فما الفائدة؟ كلا، إذا تابوا قبل مواجهة المصير فإن الله ينقذ). الديانة المسيحية أيضا تقول بقبول التوبة ولكن بشرط أن يكون التائب مسيحيا. ولكن الإسلام لا يجعل قبول التوبة مشروطا بأي دين، ويقول بأن التوبة تُقبل بالالتزام بأي دين كان. ولا يبقى له ذنب إلا إنكاره لكتاب الله ورسوله. ومستحيل تماما أن ينال الإنسان النجاة بأعماله فقط، بل من منة الله أنه يقبل توبة أحد ويعطي آخر بفضله قوةً فيجتنب ارتكاب الذنب.

حضر شخص مجلس حضرته وسأل: ما هو الورد الذي يجب أن أردده؟ فقال عليه السلام: أكثر من الاستغفار، فلإنسان حالتان: إما أن لا يرتكب الإثم، أو أن يحميه الله من شر عواقب إثمه، وعليه أن يضع في البال كلا المعنيين عند الاستغفار، (لا يرتكب الإثم ولا تظهر عاقبة سيئة للإثم) فيسأل الله غفران ذنوبه السابقة، كما يسأله التوفيق لاجتناب الآثام في المستقبل. (أي ينبغي أن يستغفر واضعا هذا الشيء في الحسبان) لكن لا يكفي الاستغفار باللسان فقط، بل يجب أن ينبع من القلب. وادعُ الله في الصلاة بلغتك أيضا، فهذا ضروري. (الملفوظات ج ٢)

فمجرد قول الاستغفار باللسان أو إرسال أحد رسالة بأني أستغفر الله ربي، ولن أرتكب مثل هذه الأخطاء في المستقبل، لن يجدي نفعاً، ما لم يسعى ليُثبت عملياً أنه لن يعود إلى تلك الأخطاء التي قد ارتكبتها. قال المسيح الموعود عليه السلام في مناسبة وهو يبين معنى الاستغفار:

"معنى الاستغفار هو ألا يصدر أي ذنب في الظاهر، وألا تظهر قوة على ارتكاب الذنوب. إن حقيقة استغفار الأنبياء هي أنهم معصومون أصلاً ولكنهم يستغفرون كيلا تظهر تلك القوة في المستقبل. أما بحق عامة الناس فيُستنتج منه معنى آخر أيضاً وهو أن ينقذه الله من نتائج سيئة لجرائم وذنوب صدرت منه سابقاً، وأن يغفرها له وينقذه من صدورها في المستقبل.

على أية حال، يجب على الإنسان أن يستمر في الاستغفار. البلايا المتنوعة التي تترل في الدنيا مثل القحط وغيره يكون المراد منها أن ينصرف الناس إلى الاستغفار. (في هذه الأيام قد نشبت حروب كثيرة ففي مثل هذه الظروف على الأحمديين أن يُكثروا من الاستغفار لحماية أنفسهم ولجماعة الدنيا أيضاً) قال عليه السلام: ولكن ليس المراد منه أن يردد المرء: "أستغفر الله، أستغفر الله" باللسان فقط، بل الحق أن حقيقة الاستغفار ظلت خافية على الناس هنا لكون العبارة من لغة أجنبية. كان العرب يفهمون هذه الأمور جيداً، أما في بلادنا فقد بقيت كثير من الحقائق خافية لكون اللغة أجنبية. هناك كثيرون يقولون إننا استغفرنا كذا وكذا مرة، سبّحنا مئة مرة أو ألف مرة ولكن لو سألتهم عن المراد من الاستغفار أو معناه لاحتاروا حيرة ما بعدها حيرة. على الإنسان أن يظل يستغفر في قلبه بصورة حقيقية كيلا يواجه مغبة ما صدر منه من المعاصي والجرائم، وليستعين بالله في قلبه كل حين ليوفقه للأعمال الصالحة في المستقبل وينقذه من المعصية.

اعلموا جيداً أن الكلمات وحدها لا تنفع شيئاً. يمكنكم الاستغفار بلغتكم أيضاً ليغفر الله الذنوب السابقة وينقذ من الذنوب في المستقبل ويوفق للحسنات، هذا هو الاستغفار الحقيقي، ولا حاجة أن يردد الإنسان "أستغفر الله، أستغفر الله" بلسانه فقط وقلبه غافل. اعلموا أنه لا يصل إلى الله إلا ما يصدر من القلب، لذا يجب أن تدعوا بلغتكم كثيراً لأن ذلك يؤثر في القلب. لا شك أن اللسان يشهد على القلب فقط ولكن إذا نشأ الحماس في القلب ورافقه اللسان أيضاً فبها ونعمت، وإلا فالأدعية باللسان فقط دون مرافقة القلب عبث لأن الدعاء الحقيقي هو ما ينبع من القلب. إذا استمر الإنسان في الدعاء في قلبه قبل حلول البلاء واستغفر الله لوجهه رحيماً وكرماً ولزال البلاء. ولكن عندما يترل البلاء فلا يزول. لذا يجب أن يستمر المرء في الدعاء ويستغفر كثيراً قبل حلول البلاء، فهكذا يحمي الله تعالى عند البلاء.

يجب على أفراد جماعتنا أن يصدر منهم ما يميزهم عن غيرهم. فإذا بايع أحد ولم يعمل ما يميزه، وكان يعامل زوجته كما كان يعاملها من قبل، ويعامل عياله وأطفاله كما سبق، فهذا ليس جيداً. فإذا بقي

سوء الخلق وسوء السلوك السابق جاريا بعد البيعة أيضا وبقي الحال كما كان قبلها فما الفائدة من البيعة؟ يجب على المبايع أن يكون نموذجا للأغيار ولأقاربه وجيرانه حتى يقولوا عفويا بأنه لم يعد كما كان من قبل. (وهذا ما يجب أن تكون نتيجة الاستغفار)

اعلموا جيدا أنكم إذا عملتم بإحاض القلب لأثرت هيبتم في الآخرين حتما. كم كان رُعب النبي ﷺ عظيما! ذات مرة ظن الكفار أنه ﷺ سيدعو عليهم، فجاؤوه أجمعين والتمسوا منه ألا يدعو عليهم. لا شك أن للصادق رعبا حتما. يجب أن يكون العمل بكل صفاء ونزاهة ولوجه الله فقط عندها سيقع تأثيركم ورُعبكم في الآخرين حتما. (الملفوظات ج ٩)

ثم قال ﷺ في مناسبة:

إن خشية الله وتقواه أمر عظيم، فبسببها يعصم الله الإنسان من آلاف الآفات. لا يستطيع أحد القول بأنه لن تصيبه أي آفة، إلا أن تشملته رحمة الله، فلا يطمئن أحد. فالآفات تحل بغتة، فمن ذا الذي يعرف ماذا سيحدث ليلا؟ لقد ورد أن النبي ﷺ ذات يوم قام وبكى كثيرا، ثم خاطب الناس وقال: يا عباد الله اتقوا الله. فالآفات والبلايا تلتصق بالمرء كالنمل، فلا سبيل للتخلص منها سوى الانصراف إلى الاستغفار والتوبة بصدق القلب.

ثم قال ﷺ: إنما يعني الاستغفار أن يطلب المرء من الله الحماية من عقوبة الجرائم السابقة والمعاصي، وأن يسأل الله العصمة من ارتكاب الذنوب في المستقبل. كان الأنبياء أيضا يستغفرون والعامّة أيضا. اعترض بعض القساوسة الأغبياء على استغفار النبي ﷺ وكتبوا أن استغفاره يُثبت أنه كان مذنباً، لكن هؤلاء السفهاء لا يعرفون أن الاستغفار خصلة سامية، فقد خلق الإنسان ضعيفا، والضعف من فطرته. والأنبياء يعرفون جيدا هذا الضعف الفطري والبشري، لذا يدعون الله قائلين: ربنا احفظنا من ظهور الضعف البشري.

فالغفر هو الستر، الأصل أن القدرة التي يتمتع بها الله ﷻ لا يتمتع بها أي نبي أو ولي أو رسول، فلا أحد يستطيع الادعاء أنه قادر على اجتناب الذنب بقوته، فالأنبياء أيضا محتاجون إلى الله لحمايتهم، فلإظهار العبودية كان النبي ﷺ أيضا يسأل الله حمايته كالأنبياء الآخرين.

ففكرة هؤلاء (أي المسيحيين) باطلة أن عيسى ﷺ لم يكن يستغفر، (أي من الخطأ الظن بأن عيسى ﷺ لم يكن يستغفر) فهذا من سفههم وعدم فهمهم، واتهامهم لعيسى ﷺ. إذ بالتدبر في الإنجيل يتبين جليا أنه اعترف كثيرا بضعفه واستغفر. فما معنى صراخه "إيلي، إيلي، لما شبقنتي"؟ فلم لم يقل: أبي، أبي. فـ "إيل" في اللغة العبرية تعني إله، وإنما تعني هذه الجملة: ارحمني يا رب، وأنزل علي فضلك، ولا تخذلي أي احفظني.

إنما المشكلة في الحقيقة أن الناس في الهند قد أضعوا الهدف المنشود من الاستغفار بسبب اختلاف اللغة، حيث حسبوا هذه الأدعية تراتيل سحرية، سواء أكانت الصلاة أم الاستغفار والتوبة. إذا نصحنأ أحدا بالاستغفار لأجاب أنه يستغفر مئة أو مئتي مرة في اليوم، فإذا سألتموه ما معناه، فستجدونه يجهله تماما. فلاستغفار كلمة عربية، ومعناها طلب المغفرة قائلا: يا إلهنا، نعوذ بك من النتائج السيئة لما ارتكبنا من الذنوب في الماضي لأن الذنب سمٌّ، ومفعوله أيضاً حتمي. واحفظنا في المستقبل بحيث لا يصدر منا الذنب. أما التردد باللسان فقط، فلا يحقق الهدف. (الملفوظات ج ١٠)

معنى التوبة أن يتخلى المرء عن السيئة ندما، فالتوبة ليست عملا سيئا، بل قد ورد أن النائب محب إلى الله كثيرا، فاسم الله أيضاً تواب، ومعناه أن الإنسان حين يندم على ذنوبه وأفعاله السيئة، ويتعهد باجتنابها في المستقبل، فإن الله أيضاً يتوب عليه برحمته، فالله ﷻ يتوب على الإنسان أكثر من توبة الإنسان إليه، فقد ورد في الحديث الشريف أن الإنسان حين يتقدم إلى الله شبرا يتقدم الله إليه ذراعا، وحين يأتيه الإنسان مشيا يأتيه هرولة. أي إذا توجه الإنسان إلى الله، فإن الله هو الآخر يُترل عليه رحمة وفضلا ومغفرة دون حساب، أما إذا قعد الإنسان معرضا عن الله فكيف يعبأ الله به؟

ثم قال عليه السلام مبيِّنا حقيقة التوبة: ليكن معلوما أن القرآن الكريم قد ذكر الله تعالى اسمين اثنين وهما: الحي القيوم. المراد من الحي هو الذي حي بنفسه ويهب الحياة للآخرين. ومعنى القيوم هو الذي قائم بذاته وسبب لقيام الآخرين. إن بقاء كل شيء الظاهري والباطني وحياته إنما هي بركة هاتين الصفتين. إن صفة "الحي" تقتضي أن يُعبد الله وحده كما أن مظهره في سورة الفاتحة هو "إياك نعبد". وصفة القيوم تقتضي أن يُطلب السند منه، وقد ذُكر هذا المفهوم بجملة: "إياك نستعين".

إن صفة "الحي القيوم" تقتضي العبادة لأنه خلق ولم يخلد المخلوقات بعد خلقها. فمثلا إذا مات البناء بعد بنائه البناء فلا تتضرر البناء بموته. ولكن الإنسان يبقى محتاجا إلى الله تعالى في كل الأحوال، فصار ضروريا أن يستمر الإنسان بالاستمداد من الله تعالى، وهذا هو الاستغفار. ثم وسَّعت دائرتها أكثر لئُقَد مرتكبو الذنوب من نتائجها السيئة. وإن لم يرتكب المرء الذنب فمع ذلك هو بحاجة إلى الاستغفار للبقاء على قيد الحياة وللبقاء في ملاذ الله. ولكن الأصل في الموضوع هو الانقاذ من التقصيرات البشرية. فمن لا يرى الحاجة إلى الاستغفار مع كونه بشرا فهو سيئ الأدب وملحد.

وقد ذكر عليه السلام حقيقة الاستغفار في مكان آخر كما يلي: "الذنب دودة تسري في دماء الإنسان، وليس له العلاج سوى الاستغفار فقط. فما هو الاستغفار يا ترى؟ ألا إنما الاستغفار أن يسأل المرء الله حفظه من عواقب وخيمة للذنوب التي صدرت منه. وألا تصدر منه تلك التي يقدر على ارتكابها ولم يرتكبها بعد، وأن تحترق وتتلاشى في الداخل.

الوقت مخيف جداً، لذا داوموا على التوبة والاستغفار، وافحصوا أنفسكم، فأتباع كل دين وملة وأهل الكتاب يؤمنون بأن العذاب يزول بالصدقات والتبرعات، بشرط أن تكون قبل نزول العذاب، لكنه حين ينزل فلا يزول، فمن الآن استغفروا وتوبوا، لكي يحفظكم الله ولا يأتي دوركم." إذن، يجب أن نكثر من الاستغفار، كما قلت من قبل أيضاً، نظراً إلى الظروف الحالية السائدة في العالم لينقذنا الله تعالى من كل شر وآفة.

يقول المسيح الموعود عليه السلام شارحاً حقيقة التوبة أكثر: ليكن معلوماً أن إنكار التوبة والمغفرة إنما هو إغلاق باب ارتقاء الإنسان لأنه من الواضح ومن البديهيات لدى الجميع أن الإنسان ليس كاملاً في حد ذاته، بل هو بحاجة إلى التكميل، وكما أنه يولد ظاهرياً ويوسع دائرة معلوماته رويداً رويداً ولا يولد عالماً، كذلك عندما يبلغ سن المراهقة بعد الولادة تكون حالته الأخلاقية منحطة جداً. فمثلاً لو تأمل أحد في حالات الأطفال الصغار لعلم بكل وضوح أن معظمهم يكونون متعودين على أن يضربوا زملاءهم عند أدنى نزاع بينهم، كما تلاحظ في كثير منهم عادة الكذب وسباب الأطفال الآخرين لأتفه الأسباب. ويكون بعضهم متعوداً على السرقة والنميمة والحسد والعناد. ثم عندما يهيج جنون الشباب تسيطر عليهم النفس الأمارة وتصدر منهم أمور غير لائقة لا تجدر بالذكر إذ تدخل في الفسق والفجور الصريح.

ملخص الكلام إن المرحلة الأولى لمعظم الناس هي مرحلة حياة قدرة. (إذ تجعلهم الظروف المحيطة بهم والمجتمع قذرين) ثم عندما يخرج الإنسان السعيد من طوفان أوائل العمر العارم يتوجه إلى ربه (أي عندما يرى الإنسان السعيد القدارة منتشرة في العالم يتوجه إلى الله تعالى) ويتوب توبة نصوحاً ويتحاشى أموراً غير لائقة ويعكف على تطهير نفسه. هذه هي مراحل حياة الإنسان بوجه عام التي يتحتم عليه اجتيازها. يتضح من ذلك أنه لو كان صحيحاً أن التوبة لا تقبل، لثبت من ذلك أن الله لا يريد أصلاً أن يهب أحداً النجاة."

ثم قال حضرته عليه السلام في مجلس حين بايعه بعض الإخوة فقال لهم حضرته ناصحاً: "إن الله سبحانه يريد أن يتوب الإنسان توبة نصوحاً ويدعو أن لا يصدر منه الذنب، وأن لا يواجه الخزي في الدنيا والآخرة. ما دام الإنسان لا يتكلم بوعي ولا يكون فيه تدلل، فلا يصل كلامه إلى الله. لقد كتب الصوفية أنه إذا مضت أربعون يوماً دون أن يبكي الإنسان في سبيل الله يقسو قلبه، فالبكاء تكفر عن قسوة القلب، وله دوافع وأسباب، فعلى الإنسان أن ينظر ما الذي صنع وأنجز، وما حال عمره، ولينظر إلى الذين مضوا قبله، عندها يخاف قلبه ويهتز.

إن الذي يدعي اجتناب الذنوب فهو كاذب، إذ من المعلوم أن النمل تجتمع حتماً حيث توجد الحلوى، كذلك تلزم الإنسان لوازم النفس، وأنى له أن يتخلص منها؟ وإن لم يحالف الإنسان فضل الله ورحمته

فليس في وسعه اجتناب الذنب سواء أكان نبيا أو وليا. كما أنه ليس مما يفتخر الأنبياء والأولياء به أنهم لا يرتكبون الذنوب، بل كانوا يسألون الله فضله دوما. إنما المراد من استغفار الأنبياء هو أن تبقى يد فضل الله عليهم دوما، وإلا لو وكل الإنسان إلى نفسه فلا يسعه أن يكون محفوظا ومعصوما أبدا. يشرح الدعاء "اللهم باعد بيني وبين خطاياي" والأدعية الأخرى أيضا هذا المعنى للاستغفار. فسر العبودية حصرا أن يأوي المرء إلى الملاذ الإلهي، فالذي لا يريد ملاذ الله فهو متكبر.

سأله عليه السلام أحد الإخوة: كيف تنشأ المتعة والذوق في الصلاة؟ فقال: إن خلق الشوق والذوق في الأعمال الصالحة والعبادة ليس بوسع الإنسان بل يعتمد على فضل الله وتوفيقه. فمن الضروري لهذا الغرض ألا يقلق الإنسان بل يستمر في الدعاء طالبا من الله توفيقه وفضله ولا يملّ من الدعاء. فعندما يستمر الإنسان في الدعاء بالثابرة يمكنه الله تعالى بفضله مما يحترق قلبه من أجله. (أي إذا كان عند الإنسان حرقة واضطراب للعبادة فليستمر فيه، فسوف تنشأ فيه هذه الحالة أخيرا).

أي سوف يتولد فيه شوق وتوق وحلاوة من أجل العبادة، أما إذا لم يقم بالسعي والمجاهدة، وظن أن أحدا سيصلحه بنفخة واحدة، فهذا ليس من سنة الله تعالى. إن الذي يختبر الله تعالى بهذه الطريقة إنما يسخر من الله ويهلك في النهاية. اعلّموا جيدا أن القلب بيد الله تعالى، ولولا فضل الله فقد يرتد المرء ويتنصر في اليوم الثاني أو يقع في معصية أخرى، لذا فاسألوا الله من فضله واستعينوا به لكي يثبتكم على الصراط المستقيم. إن الذي يستغني عن الله تعالى فهو شيطان. فلا بد للإنسان أن يستغفر الله دوما لكيلا يتولد فيه ذلك السم والحماس المدمر للإنسان.

إذن فلا بد من الاستغفار من أجل بلوغ المستوى المطلوب في العبادة.

ثم يقول المسيح الموعود عليه السلام وهو يخبر عن سبيل النجاة من عذاب الله تعالى: يجب التوجه إلى التوبة والاستغفار، فهذا هو السبيل للنجاة من عذاب الله. ماذا عسى أن يفعل الإنسان من أجل ذلك غير التوبة والاستغفار؟ لقد قال الأنبياء جميعا إنكم إذا تبتّم واستغفرتم فسوف يغفر الله لكم. فصلّوا الصلوات واستعينوا بالله على اجتناب الذنوب في المستقبل، واسألوه العفو عن ذنوبكم السابقة، وأكثرُوا من الاستغفار كيلا تظهر قوة الذنب الكامنة في طبيعة الإنسان. هناك ملكتان في طبيعة الإنسان، أولاهما قوة كسب الحسنات وفعل الخيرات، والأخرى قوة ارتكاب السيئات والمعاصي، ووضع الحدّ من هذه القوة هو بيد الله، وتكمن هذه القوة في الإنسان كُمون النار في الزند.

ثم قال عليه السلام: قال الله تعالى: ﴿وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ (هود: ٤). تذكروا أن هذه الأمة قد أُعطيت شيئين: الأول أن استغفروا للحصول على القوة، والثاني ثم توبوا إلى الله وارجعوا إليه لإظهار هذه القوة عمليا. والاستغفار هو من أجل الحصول على القوة، ويسمى أيضا الاستمداد والاستعانة. لقد كتب الصوفية -وقد ذكرتُ هذا من قبل أيضا- أن الرياضة والتمارين كما تُغذي

الإنسان بالقوة والطاقة الجسدية، كذلك فإن الاستغفار هو رياضة روحانية تنال بها الروح قوة، والقلب ثباتا. فمن يرغب في نيل القوة فعليه الاستغفار.

ثم قال عليه السلام: إن باب فضل الله ورحمته لا يُغلق أبدا. لو تاب الإنسان بصدق القلب والإخلاص لوجد الله غفورا رحيفا وقابلاً للتوبة. أما الظن كم من المذنبين سيغفر لهم الله، فهو وقاحة شديدة وسوء أدب في حضرة الله تعالى. إن خزائن رحمة الله واسعة لا تنتهي، ولا ينقصه شيء، ولا تُغلق أبوابه على أحد. إنها ليست كممثل الوظائف لدى الإنجليز إذ يعجزون أن يعطوا الوظيفة لعدد كبير من المثقفين. كلا، بل إن كل أولئك الذين يتمكنون من الوصول إلى عتبات الله سينالون الدرجات العليا، هذا وعد مؤكد. فشقي وتعيسُ الحظ من يقنط من الله ويأتيه وقت الاحتضار وهو غافل، ولا شك أن الباب يُغلق عندها. (أي إذا جاء الموت فلا توبة ولا استغفار عندها)

ثم قال عليه السلام: ليكن واضحا أن التوبة في اللغة العربية تعني الرجوع، لذلك ورد اسم الله "التواب" أيضا في القرآن الكريم، أي أنه كثير الرجوع، والمراد أن الإنسان إذا كفَّ عن الذنوب ورجع إلى الله تعالى بصدق القلب رجع الله إليه أكثر منه. وهذا يطابق تماما قانون الله الطبيعي، فما دام الله تعالى قد فطر الإنسان على أنه إذا رجع إليه شخص آخر بصدق القلب لان له قلب الأخير أيضا، فكيف يقبل العقل أن يرجع العبد إلى الله تعالى بصدق القلب ولا يرجع الله إليه؟ كلا، بل إن الله الكريم والرحيم جدا يرجع إلى عبده أكثر منه بكثير، ولذلك قد ورد في القرآن الكريم اسم الله "التواب"، أي كثير الرجوع كما قلت آنفاً. فرجوع العبد إلى الله يكون بالحسرة والندم والتذلل والتواضع، أما رجوع الله إلى العبد فيكون بالرحمة والمغفرة. لو لم تكن الرحمة من صفات الله لما نجا أحد. من المؤسف حقا أن هؤلاء القوم لم يتدبروا صفات الله، بل جعلوا المدار كله على أعمالهم وأفعالهم، ولكن الله الذي خلق للإنسان آلاف النعم في الأرض بغير عمل منه، فكيف يمكن أن يكون من خلق الله تعالى ألا يتوجه برحمته إلى الإنسان الضعيف حين يرجع إليه بعد أن يفيق من غفلته، سيما إذا كان رجوعه وكأنه يكاد يموت في هذا السبيل ويخلع عن جسمه اللباس النجس القديم ويحترق في نار محبة الله سبحانه وتعالى؟ هل هذا ما يُسمى قانون الله السائد في الطبيعة؟ لعنة الله على من قال بهذا.

وقال المسيح الموعود عليه السلام وهو يحثنا على إحداث تغيير واضح في حياتنا: اعلموا أن الاتكال على الدواء والتدبير تاركين الله تعالى حماقة. غيروا حياتكم بحيث تبدو حياة جديدة، حياة الاستغفار. واستغفروا كثيرا. إن الذين تشغلهم أعمال الدنيا كثيرا عليهم أن يخافوا كثيرا. إن أصحاب الوظائف يقصرون في أداء معظم فرائض الله تعالى، لذا يجوز لهم في حالة الاضطرار أداء صلاتي الظهر والعصر وصلاتي المغرب والعشاء جمعا، (أي إذا كان هناك اضطرار شديد فيمكنهم أداء الصلوات جمعا، ولكن الأصل هو أداء الصلوات في مواقيتها).

وتابع عليه السلام وقال: إني أعلم أن المرء لو استأذن المسؤولين لأداء الصلاة أذنوا له بأدائها. (أي أن الموظفين لو استأذنوا مسؤوليهم الذين ليسوا مسلمين في أداء الصلاة فإنهم يسمحون لهم بذلك). إن تقديم مثل هذه الأعذار الواهية من أجل ترك الصلاة ليس إلا ضعف النفس. فلا تظلموا ولا تقصروا في أداء حقوق الله وحقوق العباد، وأنجزوا واجباتكم المنوطة بمناصبكم بكل أمانة. فالاستغفار والتوبة لا ينفعان إلا بعد العمل بأحكام الله الأساسية، أي يجب أداء الصلوات بانتظام، كما لا بد من أداء حقوق الله وحقوق العباد على ما يرام.

فأهضوا وتوبوا، وأرضوا مالكم بصالح الأعمال، واعلموا أن العقوبة على الأخطاء العقديّة ستترتب بعد الممات، وأن الحكم في كون أحد هندوسيا أو مسيحيا أو مسلما سيصدر يوم القيامة، ولكن الذي يتعدى الحدود في الظلم والجور والفسق والفجور فيعاقب في هذه الدنيا نفسها، ولا يستطيع الفرار من عقاب الله تعالى بحال من الأحوال. فأرضوا ربكم سريعا. إنه كريم للغاية، ويمكن أن يغفر في لحظة واحدة ذنوب سبعين سنة بتوبة صادقة تذيب القلب. لا تقولوا إن التوبة لا تُقبل. اعلموا يقينا أنكم لن تنجوا بأعمالكم، كلا، بل إن فضل الله تعالى هو الذي ينجي دائما وليست الأعمال. فتوبوا إلى الله وأنبياء، واسألوه فضله واستغفروه دوما.

ثم قال عليه السلام: فيا إلهي الكريم الرحيم، أنزل فضلك علينا جميعا، فإننا عبادك المرتمون على عتباتك، آمين. ندعو الله تعالى أن يجعلنا من ورثة دعاء المسيح الموعود عليه السلام، وأن نكون من الذين يستغفرون ويتوبون مستوعبين مفهوم التوبة والاستغفار حقا.

أما الآن فسوف أذكر بعض الذين قد توفوا وسوف أصلي عليهم جنازة الغائب بعد صلاة الجمعة. وأول هؤلاء هي السيدة بيغم بنت حضرة مير محمد إسحاق رضي الله عنه، حيث توفيت مؤخرا عن عمر يناهز ٩٣ عاما. إنا لله وإنا إليه راجعون. كانت منخرطة في نظام الوصية بفضل الله تعالى. ولدت في قاديان. وكان السيد مير ناصر نواب جدّها، أما والدتها فهي السيدة صاحبة بيغم بنت بير منظور محمد. تلقت التعليم الابتدائي في قاديان، ورزقها الله تعالى ابنين وبتنا واحدة. تزوجت من القاضي شوكت رحمه الله.

يقول مير محمود أحمد ناصر من ربوة عن أخته: كانت أختي بسيطة، ما آذت أحدا قط، وكانت بعيدة عن كل نوع من الشر، وكانت قبل زواجها أيضا تخدم كل العائلة. في أوائل الأيام بربوة لم تكن هناك كهرباء، وكنا نسكن في البيوت الطينية وكان الحر شديداً، واتفاء له كنا نجتمع في غرفة فيها مروحة كبيرة مهدبة معلقة بالسقف، وكان يتم تحريكها عن طريق شد الحبل المعلق بها، وكانت المرحومة تتطوع بتحريك هذه المروحة دون أن يطلب ذلك منها أحد، وذلك لننعم براحة النوم، فكانت تتحلى بعاطفة التطوع لخدمة الجميع.

يقول أولادها: كانت والدتنا مسلمة أحمدية مخلصه، وكانت زوجة تؤدي الحقوق والواجبات كلها. كانت تتسم بطبع بسيط ومحب، فكانت تذكر بأسلوب بسيط جذاب أحداثاً هامة ومعبرة من سيرة النبي ﷺ وخلفائه الكرام وصحابته، كما كانت تذكر بالأسلوب البسيط نفسه أحداثاً من تاريخ الجماعة وسيرة المسيح الموعود عليه السلام وخلفائه وصحابته الكرام. كانت تنصح الأطفال والناس عموماً أن يظلوا متشبثين بإيمانهم ويعيشوا حياة الكرامة والوقار. كانت نشيطة جداً في أعمال الجماعة، وأعظم صفة كانت تتميز بها هي شفقتها على خلق الله. كانت مولعة بالتبليغ لدرجة أنها كانت تبليغ دعوة الإسلام أثناء سفرها طياراً الطائرة والناس الآخرين الموجودين في صالة المطار. كان خلُقها يتميز بالطهارة والبساطة. كانت جيدة جدا في الخطابة.

تقول ابنة أختها السيدة أمة الكافي: كانت المرحومة قد تلقت من والديها تربية رائعة وراسخة بحيث لم تحد عنها قط. وكانت تتحلى بروح خدمة الدين الكبيرة لدرجة أنها كانت تذهب بانتظام إلى مسجد الجماعة في مدينة نيويورك وتقوم بتنظيف المسجد. يقول الناس إنها ظلت -ما بقيت قادرة- تبليغ عامة الناس حسب فهمها ووفق مستوى لغتها خلال شرائها حاجيات يومية في السوق. كان قلبها يفيض بحماس شديد لمواساة الفقراء والمعوزين ولحبهم. وفق الله أولادها لمواصلة حسناتها، وغفر لها ورحمها ورفع درجاتها.

الجنيزة الثانية هي للسيدة بشرى أكرم من سيالكوت، وهي أيضا توفيت في الفترة الأخيرة. إنا لله وإنا إليه راجعون. ولدت عام ١٩٥٥ في منطقة "بدال" في محافظة سيالكوت. كانت امرأة تقيّة مخلصه وملتزمة بالصيام والصلاة. كانت من صفاتها البارزة الضيافة والاهتمام بالفقراء وحب الخلافة. كانت تحترم كثيراً الواقفين لحياتهم من أجل خدمة الدين. وتركت خلفها علاوة على زوجها ثلاث بنات وابناً واحداً.

ابنها بابر شهزاد داعية يخدم حالياً في سيراليون ولم يتمكن من حضور جنازتها لكونه مشغولاً في ميدان العمل هناك.

يقول الداعية بابر شهزاد: كانت والدتي سعيدة جداً عندما حصلت على القبول في الجامعة، وسألني عما سُئلت في المقابلة فأخبرتها أنهم سألوني: من سيعتني بوالديك بعد أن وقفت حياتك، لأنك الابن الوحيد لهما؟ يقول: لقد أعطيت الجواب الذي كان عليّ أن أعطيه، لكن والدتي لما سمعت هذا السؤال قالت: لو كان لدي سبعة أولاد لكنت قد نذرتهم جميعاً في سبيل الدين. وفي آخر أيام حياتها لما دخلت المستشفى، اتصلت بها وسألتها: كيف حالك؟ فردّتي عليّ رغم معاناتها: أنا بخير، أكل وأشرب كل شيء حسب تعليمات الطبيب، لكنها أضافت فوراً قائلة: إذا حدث لي شيء فلا تقلق، ولتبق هناك في

أفريقيا، ولا تزجج أهلك وأولادك. لقد كرسّ حياتك لخدمة الدين، لذا عليك أن تتحلى بالصبر. كانت هذه كلمات أُمِّي الأخيرة لي.

كانت تعني بالفقراء والمحتاجين والأرامل وتساعدهم مالياً. كلما جاءها حصاد القمح أو الأرز قسمته إلى عدة أجزاء من أجل المحتاجين. رحمها الله وغفر لها وألهم أولادها الصبر والسلوان. والذكر الثالث هو للسيدة مسرت جيهان زوجة شودري محمد أخت من أستراليا، وهي الأخرى توفيت في الأيام الأخيرة عن عمر يناهز سبعة وثمانين عاماً. إنا لله وإنا إليه راجعون.

كان جدها حضرة بابو محمد أفضل أوجلوي أحد صحابة المسيح الموعود عليه السلام. لقد تلقت تربيتها في كنف رعايته. كانت طريجة الفراش طوال الستة عشر عاماً الماضية بسبب تعرضها للشلل الدماغي. وكان أبناؤها -ولاسيما ابنها "زاهد" وكنته- خدموها كثيراً. تقول كنته: الطريقة التي عاملتني بها دائماً في حياتها النشطة تجعلني أقول أنها ما عاملتني كحماة لكنتها بل عاملتني كابنة لها. كانت ملتزمة بالصيام والصلاة والتهجد. وكانت تهتم بشكل خاص للعبادة، فقد خصصت مكاناً منفصلاً في بيتها للعبادة. وفي الأيام التي كان درس القرآن الكريم يلقي بانتظام في المسجد المبارك، وكانت تذهب من حينها دار العلوم إلى المسجد المبارك سيراً على الأقدام لتستمع إلى الدرس، بل وكانت تقصده في العشر الأواخر من رمضان من أجل أداء صلاة التراويح هناك. كانت ترتبط بالخلافة بأواصر الإخلاص والاحترام الكبيرين. كان زوجها يعمل مديراً لمحطة السكك الحديدية، وحيثما انتقل بحكم عمله نظمت المرحومة دروساً لتعليم الأطفال القرآن الكريم في منزلها. وعندما استقرت في ربوة، قامت بتنظيم دروس القرآن هناك أيضاً. لقد تركت خلفها علاوة على زوجها ثلاثة أبناء وثلاث بنات. ابنها الأصغر الحافظ راشد جاويد يخدم بصفته ناظم دار القضاء بربوة وهو واقف للحياة. نسأل الله لها المغفرة والرحمة وأن يمكن أبناءها من مواصلة حسناتها وأعمالها الصالحة.

والذكر الرابع هو للسيد ناصر أحمد القرشي من أمريكا وهو أيضاً توفي مؤخراً عن عمر يناهز الثامنة والثمانين، إنا لله وإنا إليه راجعون. كان هو زوج السيدة أمة الباري ناصر التي ظلت تخدم لفترة طويلة بوصفها سكرتيرة النشر في لجنة إمام الله بكراتشي.

لقد ترك خلفه إلى جانب زوجته ابنتين وثلاث بنات. أحد أحفاده السيد وقاص خورشيد داعية، وآخر لا يزال يدرس في الجامعة الأحمدية بكندا.

كان اسم والده السيد محمد شمس الدين البهاجلبوري، ودخلت الأحمدية إلى عائلته في عام ١٩١٣ عندما عقد المولوي عبد الماجد -والد حضرة السيدة سارة بيغم حرم الخليفة الثاني عليه السلام - اجتماعاً في هذه المنطقة وذكر فيه أدلة على صدق المسيح الموعود عليه السلام. أعجب والد المرحوم كثيراً بتلك الأدلة لدرجة توجه إلى المنصة والتقى بالمولوي عبد الماجد، فقد أعطيت له بعض منشورات الجماعة وأثارت

قراءتها حماساً لديه للأحمدية، فتوجه إلى الدعاء فأراه الله تعالى في المنام صورة المسيح الموعود عليه السلام كما أراه بعض الرؤى المبشرة، فكتب رسالة البيعة إلى الخليفة الأول عليه السلام وبايع على يده، وهكذا أصبح من الأحمديين الأوائل في منطقة بهاجلبور. وبسبب تعرضه للمعارضة الشديدة هاجر مع أهله وأولاده إلى قاديان واستمر يزداد هناك في الإخلاص والمحبة للجماعة، كما وُفق لأن يكون سائق سيارة الخليفة الثاني عليه السلام.

وُلد السيد ناصر قريشي في قاديان. وبعد انفصال باكستان عن الهند أقام المرحوم في كراتشي حيث تلقى التعليم، وواصل الدراسة بجهد كبير وتفان رغم الظروف غير المؤاتية. لقد تخرج في الهندسة الكهربائية وبعد ذلك التحق بقسم الاتصالات وترقى إلى رتبة مدير عام له. وعندما تقاعد من الخدمة، فقد تقاعد بسمعة المدير المحترف والأمين. لقد أتاحت له فرصة العمل كرئيس لفرع الجماعة الأحمدية في "ناظم آباد" بكراتشي، ثم حيثما أقام وفق ليكون رئيس الجماعة هناك. نسأل الله تعالى له المغفرة والرحمة.

تقول زوجته السيدة أمة الباري: لقد وجدته دائماً ملتزماً بالصيام والصلاة، كان قلبه معلقاً بالمسجد، ووجدته زوجاً مهتماً بمسؤولياته وتعليم أولاده وتربيتهم. كان يوفق دوماً لمساعدة المحتاجين. وكان يحب الخلافة حباً جماً. وكان يقول الحق ويحب الصدق والصراحة والوضوح. وكان منضماً بفضل الله إلى نظام الوصية. نسأل الله أن يوفق أولاده لمواصلة حسناته وأعماله الصالحة. آمين